Publiée par centre Al-Isbaah pour les études civilisationnelles
et stratégiques

مجلة مختصة بالعلوم الإنسانية والفكر والسياسة والمجتمع
مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر عن مركز الإصباح للتعليم
والدراسات الحضارية والاستراتيجية – فرنسا

مجلة الإصباح

العدد 04 يناير 2020

الرقم المعياري الدولي لمجلة الإصباح (des lumières)

- االأصولية بين الثروة والسلطة والثيوقراطية "سيكولوجية الصراع والعنف المقدس" (د. جمال محمد الهاشمي)
- مفهوم المواطنة في رؤية المملكة العربية السعودية 2030 " قراءة أولية في الخصوصية الحضارية "
(د. سناء محمد الغريض)
- شخصيات نسائية في القرآن الكريم " مدارس وعبر" (د.ثرية اقصري)
- الأثر الثقافي على تكوين صورة المرأة "قراءة في المدونات العلمية والدينية والفلسفية واللغوية" (م. د: فرح باقر أحمد الفاضلي)
- طبيعة العلاقات الهندية – الإسرائيلية حتى عام 1967 "دراسة تأريخية" (أ.م.د. وسام هادي عكار , م.د. خنساء زكي شمس الدين)
- التعريب: الفرصة الضائعة لتطوير التعليم في المغرب (أ.د. بوجمعة وعلي)
- مبادئ تعلم السيرورات الصرفية للناطقين بغير العربية (د. عبد الرحيم ناجح)
- تعريف بأسماء بعض المواقع الأثرية التي تؤرخ بعصور ما قبل التاريخ في بلاد الشام (د. زينب عبد التواب رياض)
- البناء بالطين: قراءة في الفكر الهندسي والتراث الحضاري (م. سحر هاشم محمد السيد)
- محاسبة التكاليف كآلية لتفعيل القرار على مستوى المؤسسات الصحية "دراسة حالة المؤسسات الصحية بالجزائر"
(د.أ.م. على دحمان محمد ، د.أم . بن قرين جمال)

Revue spécialisée en sciences humaines, pensée, politique et communauté, publiée par centre Al-Isbaah pour les études civilisationnelles, politiques et stratégiques

Revue des lumières

Revue spécialisée en sciences humaines, pensée, politique et communauté, publiée par centre Al-Isbaah pour les études civilisationnelles, politiques et stratégiques

مجلة الإصباح

ISSN2649-4744

مجلة أكاديمية فصلية محكمة

الأثر الثقافي على تكوين صورة المرأة : قراءة في المدونات العلمية والدينية والفلسفية واللغوية

The cultural impact on the formation of the image of women: a reading of scientific, religious, philosophical and linguistic blogs

الباحثة: م. د: فرح باقر أحمد الفاضلي

كلية المستقبل الجامعة / محافظة بابل

Researcher: M. Dr.: Farah Baqer Ahmed Al-Fadhili

University College of the Future / Babylon Governorate

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، محمد وال بيته الطاهرين وسلم تسليماً كثيرا، وبعد.

جاء اعتقاد المسلمين والذين قبلهم على اختلاف الديانات الأخرى، الموحدة وغير الموحدة، بأن الأنثى هي شخص تابع للذكر وأدنى منه؛ وذلك بسبب العوامل التي تظافرت لتحقيق ذلك المعتقد، ابتداءً بنشوء الحضارات الإنسانية الأولى وتحول السلطة

من الأمومية إلى الأبوية، ومروراً بنشوء أولى الديانات، وزاد تلك المعتقدات رسوخا مباركة أهل الفلسفة من أفلاطون وأرسطو وغيرهما لذلك، ومن ثم دراسات فرويد ومن تبعه من أصحاب علم النفس_ كما وضحنا ذلك بالتمهيد مفصلاً_، وأخيراً بعض التصورات الخاطئة للآيات القرآنية والتي أدت جميعاً إلى إثبات كون المرأة مخلوق ناقص تابع للذكر.

يمكن القول بأن هذا الاعتقاد آت من ثلاثة مزاعم، الأول: الاعتقاد بأن أول مخلوقات الله من البشر هو آدم، وإن حواء خلقت بعد ذلك من ضلع آدم الأعوج! ويترتب على ذلك أُنطولوجياً أن وجودها وجود ثانوي ومشتق أو تابع، وأنها سُلبت خصيصتها في منح الحياة، وهذا يعني أن الأصل في الوجود الإنساني هو الرجل وليس المرأة. أما الثاني: الاعتقاد بأن حواء كانت العامل الأول في خطيئة الرجل وتسببت في طرده من الجنة، ومن هذا الاعتقاد تولدت أُسطورة الشر الأنثوي، وأن المرأة بوابة الشيطان، وهي كلمة أطلقها(ترتوليان) في وقت مبكر من التأريخ المسيحي. الثالث: إن المرأة خلقت للرجل، فوجودها ذرائعي، ولا قيمة جوهرية لها.

أصبحت المرأة تعيش حالة رعب مزمن خوفاً من غضب الله، فقد أوحي إليها أنها تغضب الله إذا لم تؤدي بعض الأمور أهمها طاعة الزوج، وأُقنعت أنها خلقت بمجموعة من العورات؛ لذا يجب حمايتها من نفسها، ولهذا فقد تولى الرجل هذه المهمة، ومن هنا بدأ تغليب الفكر الجاهلي على الفكر الإسلامي، وعاد العرب يمجدون القبيلة والعائلة ووجاهتها، وانغمسوا في ملذات الانفتاح الحضاري على الأمم الأخرى، وبقيت المرأة في معزل عن كل ذلك، بحجة أنها ناقصة عقل ودين، ومحوا بذلك تلك المكانة التي منحها إياها الإسلام، فمُنعت من الصلاة في المساجد، ووضعت الأقاويل في أفضلية الصلاة في بيتها، بل في ركن محدد من البيت، في حين كانت المرأة في عهد الرسول لا تصلي في المسجد فحسب بل كانت تناقش أمور دينها ودنياها، فضلا عن أن الزواج يضفي على الرجل صفة القداسة المحفورة في ذاكرة المخيال العربي، فالأسرة بوصفها الخلية الأولى في المجتمع تجسد مفهوم الطاعة السياسية السلطوية لرب الأسرة وراعيها انطلاقاً من تجذرها في العقل العربي، فظل الخطاب الإسلامي عبر العصور نسيجاً اجتماعياً قائماً على الأيديولوجية المحفورة في أعماق الوعي الجمعي المحرضة على عبودية المرأة وقهرها وحصر وظيفتها في إرضاء رغبة الزوج، وحراسة البيت في غيابه من دون أن تكون صاحبة قرار، وان كانت تعيش في طبقة تتمتع بكل امتيازات الحكم الفردي المطلق مدعمّة بنصوص وتأويلات موضوعة والعمل على ترسيخها في الذهن العربي، وإقناع المرأة بها تارة، وبالعنف تارة أخرى، انطلاقا من الفهم الذكوري لبعض الآيات القرآنية(عظوهن)، (اضربوهن)، (انكحوا ما طاب لكم ....) وغيرها، فأُخذت الآيات بمفهوم سطحي، ودعمت أحاديث موضوعة تارة، ومقتطعة من سياق قولها تارة أخرى، مما ساعد على تركيز قاعدة التبعية التي كانت سائدة أصلا قبل الإسلام بآلاف السنين، ثم جاء أهل اللغة فرسخوا ذلك كما سنرى في البحث.

في الغالب يكون المجتمع بمؤسساته وأفكاره وأعرافه هو المسؤول الأول عن التفرقة والفصل والتهميش، وبناءً على ذلك يتولد هذا الإدراك أن ثمة مشاكل اجتماعية أو قانونية لا تعاني منها إلا فئة النساء فقط وهن اللاتي يعانينها ويعايشنها في الحياة اليومية، وهنا يكون الوعي النسائي باباً يقودنا إلى إيجاد حلول لهذه المشاكل وإنهاء للتفرقة والوصول إلى مرحلة الانخراط في الحياة بكل أبعادها وجوانبها-كنساء-ولكن على مستوى واحد من التكافؤ والعدل.

وهذا ما سيحاول البحث إثباته في صفحات الدراسة من أن المرأة بسبب التصور الثقافي الذكوري لم تكن تأخذ سوى صورة التابع الضعيف والأدنى، مما ترك أثره على كل الدراسات ابتداءً من دراسة النصوص الدينية ومرورا باللغة والأدب والفلسفة

وعلم النفس وغيرها من العلوم، وكل ذلك ترك أثره في العقل اللاوعي الجمعي بشكل عام، وترك أثرا سلبيا مباشرا على الشخصية النسوية بشكل خاص.

ومما تقدم يمكن تقسيم البحث على أربعة نقاط وكما يأتي:

أولا: صورة المرأة في المدونات اللغوية.

ثانياً: صورة المرأة في المدونات العلمية

ثالثاً: صورة المرأة في المدونات الفلسفية

رابعا: صورة المرأة في المدونات الدينية

أولا: صورة المرأة في المدونات اللغوية

اقتسم كل من المؤنثة والمذكر اللغة قسمين، ويعود هذا الانقسام إلى جنس الموجودات وهذا الانقسامٌ الخلقي إلى أنثى وذكر، موجود في وقت مبكر وتواترت الأديان في ذكره، قال تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى}[1]، وتكاد الاعتباطية التي انقسمت على وفقها الأشياء والموجودات تأنيثا وتذكيرا أن تؤكد قضية اختلاط القواعد والمسافات الفاصلة وتنفيها.[2]

تعد اللغة الحاضنة الفكرية التي وثّقت كل ما ندين للثقافة به من ثوابت ومعتقدات، وهي–بعد ذلك–انعكاس للواقع الاجتماعي الذي نعيشه، ووسيلتنا في الكشف عن تراكمات ذهنية تواترت على طول الحقب التاريخية المتتالية. ونحن إذ نبحث في الروافد الحقيقية التي رفدت الثقافة العربية وصاغتها بالشكل الذي هي عليه في عصر ما قبل الإسلام –وما زالت إلى الآن لم تتبدل –فإننا كذلك نتقصى علامات التبدل التي طرأت على بنية الثقافة العربية بنزول الإسلام بمفاهيمه القيمية العظيمة.[3]

فالذكورة في اللغة مأخوذة من" التذكير خلاف التأنيث والذكر خلاف الأنثى والجمع ذُكُورٌ وذُكُورَة وذِكَارَة وذُكران وذِكَرَةٌ، والاسم الذِّكرى، والتي تكون بمعنى الذكر، وبمعنى التذكر، والذِّكر والذِّكرى بالكسر نقيض النسيان، وكذلك الذُّكرة، والذَّكرُ والذَّكيرُ من الحديد، أيبسه وأشده وأجوده، خلاف الأنيث، فالسيف ذو الذُّكرة أي الصارم، والذّكرة القطعة من الفولاذ تزاد في رأس الفأس وغيره.[4] ومن هنا وصف الرجل بأنه ذكر، بسبب استحقاقه للذكورة بمعانيها التي تشمل الحفظ والتذكر والبروز والظهور والقوة؛ ذلك بأن المؤسسة الذكورية تجاهر وتعلن بطرائق مختلفة أن الذكورة مبنية اجتماعياً بقدر الأنوثة.[5] في حين تكون الأنوثة خلاف الذكورة ذلك بأنها لا جودة فيها ولا قوة، فمن يُحمد سيفه فهو ذكير ومن يرد له العكس يسمى أنيث. بل انطلقوا الى أن كل ما هو قوي وشديد وخشن فهو مذكر، وكل ما هو ضعيف ولين وقابل للكسر، فهو أنيث.

---

[1]– سورة النجم :45 .

[2] – إنصاف سلمان علوان، الذكورة والأنوثة في أدبي العصر الجاهلي والإسلامي، لسان العرب متنا، أطروحة دكتوراه (جامعة بابل: كلية التربية، 1434هـ–2013م) ص78

[3]– نفسه، 22.

[4] – أبو العباس المبرد، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، المذكر والمؤنث، (القاهرة: 1970) 108 أبو بكر بن الأنباري(328هـ)، المذكر والمؤنث، تحقيق، محمد عبد الخالق عظيمة، جمهورية مصر العربية، ج1 (وزارة الأوقاف: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، 1401هـ–1981) ص114–115، أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ج2 (دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، 1371هـ– 1952) ص201– 204، ابن منظور(711هـ)، لسان العرب، تنسيق وتعليق وفهرست، علي شيري، ج3، مادة (ذكر)، ط1 (بيروت: دار إحياء التراث العربي 1408هـ–1988م) ص1508– 1509

[5]– مي غصوب وإيما سنكلير ويب (إعداد)، الرجولة المتخيلة، الهوية الذكورية والثقافية في الشرق الأوسط الحديث، الطبعة العربية، ط1 (دار الساقي: 2002) ص13

لقد توصل أهل اللغة الأوائل الى أن الأصل هو التذكير حين تطرق سيبويه لمفردة شيء زاعما أَن الشيءَ مذكَّر، وهو يَقَعُ على كل ما أُخْبِرُ عنه لجعل المذكر أصلا للغة، ومن هنا أسس أهل اللغة باعتبار المذكر هو الأصل والمؤنث فرع منه وتبعه جل العلماء في ذلك، حتى أن كل ما لا يعرف أمذكرا هو أم مؤنث فمن حقه التذكير، فضلا عن وجود العلامة في التأنيث.[6] فالعلامة هي من جعلت المؤنثة ثانيةً والمذكر أولا؛ ذلك بأن المذكر اتسم بالخفة، وعليها بني رأي اللغويين بخروج التأنيث من التذكير. تقرر الباحثة إنصاف سلمان أن ليس المذكر أصلا للمؤنثة وليست المؤنثة فرعا منه، وليست تلك القاعدة سوى حجة لتصنيف المادة اللغوية، وقد خرج هذا الأمر من المذكر إلى الذكر، ومن المؤنثة إلى الأنثى، وتشرب في الفكر اللغوي الأول، وسوف نجد لهذا الانحراف عن قصد التوثيق إلى غاية التطبيق آثاره أينما حلت اللغة، للاحتجاج بشواهدها ونصوص لغوييها.[7]

لقد سوغّت اللغة العربية ارتكازها إلى مركن واحد(المذكر) دون الاثنين (المؤنث والمذكر) لأن الأصل في اللغة التذكير، والتأنيث فرعٌ منه ومبني عليه، وعلى هذا الأساس عاملت اللغة المذكر على أنه الأصل الثابت، وعاملت المؤنثة على أنها مزيدةٌ عليه بعلامة من علامات التأنيث الثلاث–التاء المربوطة، والألف الممدودة والألف المقصورة–.[8]

ويعود سبب هذا التحيز بحسب(سبندر) إلى العامل الثقافي، فيرى أن سبب الازدواجية لا يعود إلى اللغة نفسها، وإنما إلى خلفيات ثقافية لها علاقة بالنظرة إلى المرأة تحت ظلال النظام الأبوي، وعلى النقد النسوي اللغوي أن يعيد صياغة العلاقة بين اللغة والجنس من خلال التغلغل في المفاهيم الأبوية السائدة، وإعادة النظر فيها أي (تفكيكها). [9]

إن من عادات الأكل وآدابه في أوربا أن يختص الرجال بأكل اللحم الصافي ليقوي فحولتهم، وليس للنساء إلا الفضلات ونفايات الطعام يشتركن به مع الخدم والعبيد، فالنساء لا يحتجن الى القوة والتغذية، وهذا ما ينطبق على قسمة اللغة ما بين الكتابة والحكي، فالكتابة هي اللحم الصافي الذي يختص به الرجال، وللمرأة العظم والفضلات فبقي لها فضلة اللسان.[10]

إنَّ التمييز العربي وغير العربي على مستوى بنية اللغة وعلى مستوى دلالتها ينبع منه تميز آخر بين المذكر والمؤنث في الأسماء العربية، وهو تميز يجعل من الاسم العربي المؤنث مساويا للاسم الأعجمي من حيث القيمة التصنيفية، فبالإضافة إلى تاء التأنيث التي تميز المذكر والمؤنث على مستوى البنية الصرفية، يمنع التنوين عن اسم العلم المؤنث كما يمنع عن اسم العلم الأعجمي، نلاحظ أن اللغة تمارس نوعا من الطائفية والعنصرية لا ضد الأغيار فقط بل ضد الأنثى من الجنس نفسه كذلك.[11]

لا تقف أيديولوجيا اللغة عند حدود التمييز المشار اليهم بل تمتد لتشكل العالم بكل مفرداته من خلال ثنائية المذكر والمؤنث، فكل أسماء اللغة إما مذكر أو مؤنث ولا مجال في اللغة لما يسمى الأسماء المحايدة أي التي ليست مذكراً ولا مؤنثاً كما هو الشأن في بعض اللغات الأخرى كالألمانية —مثلاً– صحيح أن علماء اللغة يميزون بين المؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي ،لكن هذا التمييز لا يعفي المؤنث المجازي من الخضوع لكل آليات التصنيف التي يخضع لها المؤنث الحقيقي، ومن جهة أخرى لا نجد التمييز الحقيقي بين مذكر حقيقي ومذكر مجازي وهو أمر يكشف عن تصور أن التذكير هو الأصل الفاعل، والمؤنث فرع لا فاعلية له وبحكم هذه الفاعلية للمذكر من حيث هو الأصل، تصر اللغة العربية على أن يعامل الجمع اللغوي معاملة جمع المذكر حتى ولو كان المشار

---

[6] – ابن منظور، السابق، ص1510

[7] – إنصاف سلمان، ص32

[8] – نفسه، ص24.

9– كورنيليا الخالد، المرأة العربية–الإبداع النسائي–النظريات النسوية (دراسة)، في خصوصية الإبداع النسوي؛ أوراق عمل الإبداع النسوي الأول 1997 (منشورات وزارة الثقافة، عمان، 2001) ص 21.

[10]– عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، ط3 (المركز الثقافي العربي 2006) ص37.

[11]– نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، ط1(المركز الثقافي العربي 2007) ص30.

إليه بالصيغة جمعاً من النساء بشرط أن يكون بين الجمع رجل واحد هكذا يلغي وجود رجل واحد مجتمعا من النساء، فيشار إليه بصيغة جمع المذكر لا بصيغة جمع المؤنث.[12]

ونحن إذا أردنا أن نعرف قوما فإننا ننظر في لغتهم لنعرفهم؛ لأن لغة أي قوم تشكل رؤيتهم للواقع، فاللغة هي من تمتلك مفتاح السلطة، ومن امتلك صاحبة المفتاح عرف كيف يوظفها حيث أصبحت لديه سلطة على العقل، وهي التاريخ الحقيقي لتاريخ العالم، فما كتبته اللغة ظل كما هو، وما لم تكتبه لم يظهر. ويزداد تعاظم أثر اللغة وتأثيرها عندما تقترن بالدين، ليكون الذكورة بهما جدار لا فرصة لاختراقه أو نقده من أجل زحزحة ثباتية القناعات القارة والراسخة في عمق الفكر العربي إناثا وذكورا.[13]

يتأسس الاعتراف بإنسانية المرأة على عدم تهميش التأنيث في لغة لا يخفى على العارف ذكوريتها، ويحظى التأنيث في اللغة بزيادة حروف في عدد من الكلمات يرى ابن عربي أنها توازي الدرجة التي أعطيت للرجل على مستوى الظاهر كما تنطوي اللغة على إيحاءات ترمز إلى المرتبة الفعلية للمرأة ومن ضمنها اشتراك اسم(الذات) الإلهية، كأعلى مراتب الوجود الإلهي والنساء في التأنيث، ولو لم يكن في شرف التأنيث إلا إطلاق الذات على الله وإطلاق الصفة وكلاهما لفظ التأنيث جبراً لقلب المرأة الذي يكسره من لا علم له من الرجال بالأمر.[14]

ثانياً: صورة المرأة في المدونات العلمية

إن فكرة فرويد وزملائه لا تختلف كثيراً عن فكرة رجال العصور الوسطى عن المرأة، إذ ورث فرويد أفكار أجداده عن النساء كما هي ،وورث فلسفتهم اليهودية التي يصلي فيها الرجل كل صباح ويشكر الرب لأنه لم يخلقه امرأة وبالرغم من إلحاد فرويد الفعلي إلا أنه ظل يهودياً في وجدانه وشعوره، وليس أدل على ذلك من النظرية النفسية التي وضعها عن المرأة والتي لا تختلف كثيراً في مضمونها عن نظرة كهنة العصور الوسطى إلى الساحرات الشريرات أو الحكيمات الساحرات.[15] إذ حاول فرويد أن يعثر على تشابهات بين نظرية الشيطنة أو الممسوسات بالجان، وبين نظرية التحليل النفسي لمرضى الهستيريا، دون أن يربط بين الظروف الاجتماعية الحقيقية التي عاشها هؤلاء النساء؛ منحازا بذلك إلى نشأته اليهودية لجنس الذكور الأسمى، وبحكم انتمائه لطبقة العلماء والأطباء يأخذ بوجهة نظر أصحاب السلطة الحاكمة وينسى وجهة نظر المحكومين من العبيد والنساء.[16]

يرى فرويد أن النساء أشباه رجال لا يملكن حياة الرجال ويحسدن الرجال بشكل دائم، وان «أناهن» الأعلى قليل النمو، وهن كائنات عبثية لا نستطيع الاعتماد عليها. كان فرويد يقر بالتفوق الذكوري ويرى أن دفع النساء للصراع من أجل الحياة مثل الرجال تماما فكرة محالة، ويعلن ذات يوم خلال مناقشة له «أن أكبر سؤال بقي دون إجابة ولم أستطع حله رغم سنواتي الثلاثين في دراسة نفسية المرأة هو: ماذا تريد المرأة؟.[17] ولأن فرويد يُعد أباً للطب النفسي الحديث ولأن الكثيرين من بعده اعتنقوا أفكاره تلك متأثرين بها ،شاعت نظريته المشوهة لسيكولوجية المرأة وطبيعتها النفسية إلى حد أن المرأة الطبيعية أصبحت هي المريضة، والمريضة هي الطبيعية[18]، لاسيما أن النساء عنده نوع غريب دوني أدنى من مستوى البشر، يراهن دمى طفلية توجد فقط على أساس حب الرجل وتلبية حاجاته ورغباته، وكبر فرويد بهذا الموقف الداخل عضوياً في ثقافته لا ثقافة أوروبا الفيكتورية فحسب، بل تلك الثقافة

---

[12]– نفسه، ص 31.

[13] – إنصاف سلمان، مرجع سابق، ص156

[14] – نزهة براضة، الأنوثة في فكر ابن عربي نزهة ، ص149– 150 .

[15]) نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، المرأة والجنس، ط6(بغداد: المؤسسة العربية للدراسات والنشر–مطبعة الديوان 1986) ص101

[16]– نفسه، ص 32–33 .

[17]– حمدة خميس، المرأة في علم النفس الفرويدي: مقال على مجلة الاتحاد الإلكترونية (الإثنين 19 أبريل 2010)

[18] – نوال السعداوي، مرجع سابق، ص 33.

التي يتلو فيها الرجال صلواتهم يومياً: أشكرك يا الهي على أنك لم تخلقني امرأة، وتتلو المرأة صلاتها في خضوع: أشكرك يا الهي على انك خلقتني وفق إرادتك.[19]

وقد سيطرت هذه الفكرة على رواد علم النفس القديم سيطرة شديدة بدليل أنهم أطلقوا اسم الهستيريا على حالات الجنون التي صادفتهم، والترجمة الحرفية لهذا المصطلح(رحم المرأة)، كأنهم بذلك يقولون إن كل امرأة لها رحم، هي في حالة من حالات الهستيريا، ثم في القرن السابع عشر حين تضاءلت قوة الكنيسة تضاءلت ظاهرة السحر والشيطنة بين النساء، لتحل محلها ظاهرة الجنون والمرض النفسي والعصاب والهستيريا، وتقول سجلات التأريخ إن معظم المصابين بهذه الأمراض العقلية والنفسية كانوا نساءً، ولهذا أطلقوا اسم هستيريا على تلك الأمراض، وتصورا من كثرة الحالات النسائية المصابة بهذه الأمراض بأن لها علاقة بالرحم.[20]

وبناءً على ذلك صارت المرأة أدنى من الرجل في كل شيء، وعليها أن تخضع ليس لتكون مغتصبة، بل لتكون محكومة؛ لأن الله وهب القوة والقدرة للرجل وهذه فكرة المؤرخين اليهود وهذا نفسه ما توصل إليه فرويد وأتباعه بعد عقود طويلة جداً من الزمن إذن فإخضاع المرأة هو إحدى المعطيات الاجتماعية ونتاج سياسة الأجناس "تقترن النساء بأولئك الذين يبتهلون ويحرثون ويحاربون وهن يخدمنهم"، وهذا ما كتبه بعضهم في القرون الوسطى ثم تعنينا التصورات الأخرى للدونية الأنثوية تلك التي تترك مجالاً لغربلة الرهانات اللاشعورية ويمكن جمعها باثنين من المساجلات يقرن الأول الدونية بعدم الاكتمال، فيما يقرن الثاني الدونية بالأجزاء السفلى.[21]

على كل حال كان انحطاط قدر المرأة أمراً مسلّما به من قبل فرويد، فهو مفتاح نظريته عن الأنوثة، وكانت القوة الدافعة لشخصية المرأة في نظر فرويد هي شعورها بالحسد لمصدر ذكورة الرجل مما يجعلها تشعر أنها أقل قيمة بكثير في عينيها هي كما في عيني الصبي، وربما فيما بعد في عيني الرجل، فهي مجرد رجل فاشل ينقصه شيء ما، ومن هنا لم يتحرر فرويد قط من الموقف الفيكتوري اتجاه النساء، لقد قَبِلِ كجزء محتوم من قدر المرأة ومحدودية النظرة والحياة في الحقبة الفكتورية، فمفهوما عقدة الخصاء وحسد الذكر، فكرتان أساسيتان في كامل فكره يقومان على الفرضية القائلة بأن النساء أقل من الرجال بيولوجياً.[22]

ولم يستطع أتباع فرويد رؤية المرأة خارج الصورة التي حددها فرويد، صورة التابعة والطفلية والعاجزة، وبلا أية إمكانية للسعادة ما لم تتكيف مع حقيقة انها غرض الرجل السلبي، فقد أرادوا مساعدة النساء في التخلص من حسدهن المكبوت ومن رغبتهن العصابية في أن يكن مساويات للرجل، أرادوا مساعدة النساء في إيجاد تحقيق التحقيق الجنسي بوصفهن نساء عن طريق تأكيد دونيتهن الطبيعية[23]. ثم أن انتشار الساحرات الشيطانات في العصور المظلمة لا تختلف في أسبابها الجذرية عن انتشار ظاهرة المريضات بالهستيريا في عصر فرويد، ولا تختلف عن انتشار ظاهرة المريضات نفسيا والعصبيات في النصف الأخير من القرن العشرين، فسجموند فرويد الذي قال بأن المرأة الطبيعية هي ذكر بدون عضو تناسل، وان جميع النساء يعشن حياتهن بحثاً عن استرداد ذلك العضو الضائع بلا جدوى، كما قال كهنة وأطباء العصور الوسطى، بأن جميع النساء بعن أنفسهن للشيطان، وان الإنسان يكفيه أن يكون امرأة ليصبح شريراً.[24]

---

[19] –بيتي فريدان، اللغز الأنثوي، ترجمة، عبد الله بديع فاضل، ط1 (الرحبة للنشر والتوزيع، 2014م) ص153.

[20] – نوال السعداوي، ص31.

[21] – جاك أندرييه، النزوع الجنسي الأنثوي: ترجمة، إسكندر مصعب، طريق المعرفة، ط1 (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1430هـ-2009) ص19.

[22] – بيتي فريدان، مرجع سابق، ص154.

[23] – نفسه، ص 159 – 160.

[24]– نوال السعداوي، مرجع سابق، ص 34– 41.

لا يستطيع أحد أن يشكك بالعبقرية لاكتشافات فرويد وبالإسهامات التي قدمها للثقافة، إذ كان علم النفس الفرويدي بتأكيده على التحرر من الأخلاقية الكبتية بهدف تحقيق الاكتفاء الجنسي، جزءاً من ايديلوجية تحرير النساء، أصبح الفكر الفرويدي حصناً أيديولوجياً للثورة الجنسية المضادة في أمريكا، فبدون تعريف فرويد لطبيعة المرأة الجنسية لإعطاء الصورة التقليدية للأنوثة سلطة جديدة، لقد فُهم مفهوم حسد الذكورة الذي ابتكره فرويد لوصف ظاهرة لاحظها في النساء وكان ذلك لدى مريضاته من نساء الطبقة الوسطى في فينا في الحقبة الفكتورية، وكأنه شرح حرفي لكل ما لم يكن يسير على ما يرام مع النساء الأمريكيات، لم يعرف كثيرون ممّن بُشروا بعقيدة الأنوثة المعرضة للخطر عاكسين حركة النساء الأمريكيات نحو الاستقلالية والهوية، من المتفق عليه عموماً أن فرويد كان مراقباً حادّ الإدراك، ودقيقاً للمشاكل المهمة في الشخصية الإنسانية لكنه كان في وصف تلك المشاكل وتفسيرها أسير ثقافته وفي حين كان يكوّن إطاراً جديداً لثقافتنا، لم يتمكن من التخلص من إطار ثقافته؛ ذلك بأنه لاحظ أن النساء في المجتمع المحيط به لا يظهرن الذكاء أو القدرات الذهنية التي يظهرها الرجال عامة وأنهن أقل من الرجال اهتماماً بالشؤون العامة في الحياة، واقل طموحا من الرجال واقل تعقلاً وموضعية وحكمة.[25]

تقول نوال السعداوي ربما كان فرويد" صادقاً لكن الخطأ الذي وقع فيه فرويد أنه فسر هذه الظاهرة كالذي فسر اختفاء خصيتي العبيد، وقال إن المرأة بطبيعتها أقل من الرجل في هذه النواحي الذهنية... وكم تبدو هذه الأفكار بعيدة كل البعد عن العلم حين تصدر هكذا وحدها بمعزل عن الظروف الاجتماعية"[26]، ذلك بأنه غالبا ما يتم استبعاد النساء عن مجالاتهن المختارة وذلك بتجاهلهن لصالح رجل ما على الرغم من أنهن جاهزات وقادرات على القيام بعمل أفضل، في بعض الأعمال كان على المرأة أن ترضى بالقيام بالعمل في حين يحصل الرجل على الفضل، أو كان عليها إذا حصلت على عمل أفضل أن تواجه الرجل وعدوانيته.[27]

يساعدنا استقطاب الجنسانية إلى نوعين: الأنوثة والذكورة ومساواتهما باللافعالية والفعالية في النظرية الفرويدية على فهم نظرية الإمام الغزالي التي تتميز تحديداً بغياب مثل هذا الاستقطاب، فهي تدرك جنسانية الذكر والأنثى باعتبارها تشترك في وتنتمي إلى النوع نفسه من الجنسانية.[28]

المفارقة أن النظريتين الإسلامية والأوربية تصلان إلى النتيجة الختامية ذاتها: المرأة عنصر مدمر للنظام الاجتماعي عند الغزالي بسبب فاعليتها، وعنصر مدمر عند فرويد بسبب لا فاعليتها! وعند مقارنة الغزالي بفرويد نواجه عقبة منهجية أو بالأحرى شيئاً يبدو كذلك فحين كان الغزالي يكتب العقل المتعلق بالنكاح في إحياء علوم الدين في القرن الحادي عشر سعى إلى كشف الاعتقاد الإسلامي الحقيقي حول الموضوع أما فرويد فقد حاول بناء نظرية علمية بكل ما تتضمنه كلمة علمي من موضوعية وشمولية، ولم يفكر فرويد أن يطور نظرية أوربية حول الجنسانية الأنثوية بل فكر أن يطور تفسيراً عالمياً شاملاً للأنثى البشرية لكن يمكن التغلب بسهولة على هذه العقبة المنهجية، إذا كنا مدركين لتأريخانية الثقافة فبإمكاننا رؤية فرويد باعتباره منتجاً محدداً تاريخياً لثقافته.[29]

وقد لاحظ لينتون أن المعطيات الأنثروبولوجية قد أظهرت أن الثقافة تحدد وتقرر إدراك الفوارق البيولوجية وليس العكس، وتبعاً للغزالي، المرأة: لهو خطير ينبغي استخدامه لغرض محدد يتمثل في تزويد أمة الإسلام بالولد والنسل، وإخماد التوتر الذي تسببه

---

[25] بيتي فريدان، مرجع سابق، ص 140- 142

[26] – نوال السعداوي، مرجع سابق، ص 143.

[27] – بيتي فريدان، مرجع سابق، ص23

[28] – بينار ايليكاركان، ترجمة: معين الإمام، المرأة والجنسانية في المجتمعات الإسلامية، ط1 (دار المدى للثقافة والنشر، 2004م) ص40.

[29]) نفسه، ص 37- 46.

الغريزة الجنسية، فيوضح مفهوم الغزالي عن مهمة الفرد، حيث يكشف عن أن رسالة المسلم على الرغم من حسنها تعتبر الجنس البشري مكونا من الذكور فقط، أما المرأة فلم تعتبر خارج الإنسانية فقط، بل تهديد لها أيضاً.[30]

ثم بدأ علماء التأريخ والأنثرولوجيا في النصف الثاني من القرن العشرين يعيدون دراسة التاريخ بعين محايدة إلى حد ما بعد أن أثبتت علوم البيولوجيا والفسيولوجيا والتشريح كذب الافتراضات والنظريات التي تفرق بين الرجل والمرأة جسدا ونفساً وعقلاً[31]. إذ لاحظ "ليستروورد" أن الظاهرة الاجتماعية التي تقول بسمو جنس الرجال ليست طبيعية في الإنسان وليست طبيعية أيضاً في حياة الكثير من الفصائل الحيوانية والنباتية، فكتب يقول:" لو لاحظنا بعض النباتات كالمدقة والسدة لوضح لنا أنه في فصائل النباتات العليا عامة لا يكون الذكر إلا مخصباً للأنثى فحسب، أما الأنثى فتظل وتستمر وتنضج الثمرة. إن ذكور هذه النباتات تذبل وتموت بمجرد أن تفرز مادة الإخصاب فليس لهم وظيفة أخرى".[32] ويخرج من ملاحظاته في عالم النباتات والحيوانات أن الوظيفة الأصلية للذكر في الحياة الأولى كان مؤقتاً وثانوياً بالنسبة لوظيفة الأنثى، وان هناك بعض الأنواع من الذكور لم يكن يحتوي جسمهم إلا على تجويف كبير بداخله مادة الإخصاب، وأحيانا يتضاءل ليصبح مادة الإخصاب فقط، وأحياناً لا يكون إلاّ خصية تعيش طفيلياً على الأنثى، إذن يكوّن ليستر وورد نظريته من ملاحظاته الطويلة للحياة الطبيعية بين أشكال الحياة الأولى، ويقول إنه نتيجة لعملية الإنجاب الطبيعي فإن عملية الإخصاب، وقد حدثت أول الأمر بوساطة عضو داخل الكائن ذاته(خنثى) ثم انفصل هذا العضو عن الكائن الأساس وأصبح كائنا صغيراً جديداً يختلف عن الكائن الأصلي، وعاش هذا الكائن الجديد بادئ الأمر طفيلياً على الكائن الأصلي ثم أصبح ملحقاً به وحمل في كيس تطور لهذا الغرض، وعلى هذا يقول وورد بعد ملاحظاته في عالم النبات والحيوان: الأرقى أن الأنثى في الحياة منذ نشأتها الأولى هي الأصل والذكر فرع لها وهو بذلك يتبنى نظرية أن الأنثى في الحياة أسمى من الذكر ودورها أكثر أصالة وأهمية.[33]

ثالثاً: صورة المرأة في المدونات الفلسفية

ربما كان أرسطو أول من وضع نظرية فلسفية عن المرأة، وقد كانت نظريته مؤسسة على نظريته في الميتافيزيقيا، التي قام بتطبيقها في مجال البيولوجيا أولاً، ثم في مجال الأخلاق والسياسة، لتمتد بعد ذلك وتشمل موضوع المرأة ليثبت فلسفياً صحة الموضع الدوني للمرأة[34]، ويمكن تلخيص آراء أرسطو حول الذكورة والأنوثة بما يأتي[35]:

– إن الطبيعة هي المسؤولة عن تزويد الذكر بمتطلبات الحاكم وتزويد الأنثى بمتطلبات المحكوم، أي أن علاقة الزوج بالزوجة على نحو حاكم ومحكوم وهي حالة طبيعية، فهن بالطبيعة أدنى من الرجال، وكانت وظيفتهن خدمة الرجال ولهذا كان من الطبيعي أن يحكمهن الرجال، وكل هذه الوظائف والأوضاع والمراتب بالطبيعة لا بالعرف ولا بالعادات ولا بالتقاليد.

– الوظيفة الأولى للأنثى: الإنجاب والولادة، وما خلقت إلا لحفظ النسل، وهو مبرر لوجودها على الإطلاق. وعليها أن تخضع لحكم الرجل، وتتسم بالدونية والسلبية فيما يتصف بالعلو والإيجابية.

– ثمة فرق بيولوجي بين الذكر والأنثى، يجعل من كمية الحرارة في دم الرجل، أكبر منها في الأنثى، وعليه فالرجل يتفوق على الأنثى من جهة قوة الملكات النفسية.

---

[30] – نفسه، ص 47.

[31] – نوال السعداوي، سابق،ص 25.

[32] – نفسه، ص47– 48.

[33] – نفسه، ص48.

[34]– إمام عبد الفتاح، أرسطو والمرأة (مكتبة مدبولي الصغير 1996) ص7.

[35]– محمد الخباز، صورة المرأة في التراث الشيعي تفكيك لآليات العقل النصي: ط1 (بيروت–لبنان: 2009) ص19– 21.

– المرأة أقل من حيث العقل والذكاء من الرجل.

– النفس تنقسم الى جانب عقلي وجانب لاعقلي، وفي الرجل يغلب الجانب العقلي، أما في المرأة فيغلب الجانب اللاعقلي وهذا من مقررات الطبيعي.

– على الزوجة الصالحة أن تضبط نفقات المنزل ولا تسرف في الاهتمام بالزينة، وعليها أن تلبي جميع مطالب زوجها وكأنها قوانين فرضتها الإرادة الإلهية.

يرى الفكر الأرسطي أنه أثناء الاتصال الجنسي تتقدم بذور الذكر في عملية التناسل بالمبدأ الفعال والروح العاقلة، أما الأنثى فهي أساسا رجل مجدب له روح حيوان، تسهم فقط بالمادة، إذا سار كل شيء على ما يرام ينتج عن الجماع نسل مذكر، ولكن إذا كان المبدأ الفعال معيباً ولم يتغلب على مقاومة المادة التي تتقدم بها الأنثى فسوف ينتج نسل مؤنث[36]، بمعنى: أن الطبيعة لا تصنع الأنثى إلا عندما تعجز عن صنع الذكر، وإذا كان الجنين أنثى، فهو خطأ الأم لأنها لم تمزج دماء الطمث جيدا، فالذكر هو الإيجابي النشط الباعث للحياة، أما الأنثى فيقتصر دورها على تقديم سائل الطمث، وعليه هي الجانب السلبي المستقبل فحسب.[37]

إنَّ الفروض الذكورية غزت الفكر القديم والوسيط والحديث، ولم تتفكك بسرعة فانتقلت إلى الفكر الاجتماعي الذي رسم فوارق كاملة بين الرجل والمرأة، ذلك بأن تركة أرسطو ورثها علماء ومفسرون وشاعت في الثقافات العامة مما لا يمكن الإحاطة بها وتقدير أثرها،[38] فمن وسط تراث ضخم من أدبيات الانتقاص من المرأة نورد قولا لجوان لوي فيف، أحد مفكري المذهب الإنساني في القرن السادس عشر، ورد في كتابه تعليم المرأة المسيحية، ذهب فيه إلى أنه لا يليق بالمرأة أن تدير مدرسة ولا أن تعيش وسط الرجال ولا أن تتحدث خارج البيت، ولا أن تنفض عنها حياءها وصدقها، سواء بصورة كلية أو جزئية. فإذا كانت امرأة صالحة فالأفضل أن تبقى في البيت كي لا يعرفها الآخرون، وان كانت بين الناس فالأفضل أن تمسك لسانها حياءً وألاّ يراها الا قليلون وألا يسمعها أحد مطلقاً؛ لأن آدم كان أول الخلق، وحواء خُلقت من بعده، وهي التي خالفت الوصية الإلهية، ولأنها كائن هش قليل الحصافة، يسهل خداعها، لذلك استطاع الشيطان أن يزل حواء ويخدعها، عمن هنا لا يمكن أن تكون الأنثى معلمة، لأنها لو آمنت برأي خاطئ واعتقدت به، لنشرته بين السامعين.[39]

تغلغلت هذه الفكرة في تضاعيف التأريخ منذ حقب قديمة وجرى تداولها ثم تكريسها كمسلّمة في الأديان والثقافات بفعل هيمنة الأبوية واستبعادها لسائر التصورات المغايرة من ذلك ما نجده في مطلع القرن التاسع عشر من تجليات مباشرة للتفسير الأرسطي للجنس، وما يحيط به من أفكار موروثة عند "جوليان فيربي" في كتاب له صدر في عام 1802، بعنوان في التربية، إذ تحدث عن إثبات شرعية جنس على آخر، انطلاقا من المبررات المستمدة من ملاحظة معطيات بيولوجية، تصاعدت من ثناياها فرضيات أرسطو، فالأنثى بالنسبة له كائن خامل بتكوينه وطبعه وحيوية السائل المنوي هي التي تمدها بالثقة والجرأة.[40]

إن حلقة أرسطو وفيربي يفصل بينهما أكثر من ألفي عام وتكشفان عن مدى تماسك الفكر الأبوي المدعم بحجج كثيرة وأساطير مضللة وتحيزات مكشوفة وخلاصات ثقافية وبيولوجية لا أساس لها من الصحة سرى مفعولها في المخيال الجماعي وغزا الثقافة العامة ووجد له أصداء في النظريات والأفكار العلمية والاجتماعية، وتجلّى في الأدوار المتباينة للوظائف الأنثوية والذكورية في

---

[36]– ليندا جين شيفرد، أنثوية العلم، العلم من منظور الفلسفة النسوية، ترجمة، يمنى طريف الخولي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1425هـ–2004) ص28.

[37]–إمام عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 66.

[38]– عبد الله إبراهيم، السرد النسوي، الثقافة الأبوية–الهوية الأنثوية والجسد، ط1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2011) ص14– 23.

[39] سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة، أحمد الشامي (المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002.)ص25.

[40] – عبد الله إبراهيم، ص 24.

الحياة فلم تحترم الخصوصيات البيولوجية بوصفها مكونات خلقيّة أصلية وطبيعية، بل جرى خفض مكانة جنس بشري كامل بناءً على تفسير مغلوط اقتضته شروط الثقافة الذكورية، وتورط فيه بلا وعي وربما بوعي فلاسفة كبار ومفكرون عظام.[41]

وحين نأتي للفلاسفة العرب، نجد مثلا ابن عربي يلح على فكرة أن الحب الإنساني هو الخبرة الأولى التي لابد أن يتأسس عليها الحب الإلهي وان حب النساء يعد من صفات الكمال الإنساني ، ولا نستنتج من ذلك أن ابن عربي جعل الأنوثة عنصراً مساويا للذكورة في نسقه الفلسفي؛ ذلك بأن تصور تجربة الحب ذاتها يعتمد على توهم إيجابية الذكر وفاعليته في مقابل سلبية الأنثى وانفعاليتها، بمعنى أن العلاقة سواء في جانبها النفسي أو الفيزيقي لا تقوم على التفاعل المستند إلى التكافؤ بقدر ما تقوم على إلقاء من جهة وتلقي من جهة أخرى.[42]

يرى ابن عربي أن الأنوثة تسري كتعبير عن الوجه الإمكاني للوجود المطلق في الكون والكائنات لكنها إن كانت واحدة في دلالتها على الانفعال فهي متعددة مختلفة، في مستويات تجليها في الوجود، مما يتطلب التمييز ضمن خطاب ابن عربي بين أنوثة أصلية تظل في عالم الغيب، وتدل على الإمكان الكامن في الأعيان الثابتة، وأنوثة كونية تظهر بأشكال مختلفة وقد تحقق أول تجلٍّ لها(الأنوثة الكونية) عبر ما يطلق عليه في الفكر الإسلامي: اللوح المحفوظ، أو النفس الكلية وتشكل النفس الكلية أثراً وامتداداً للإمكان الأنثوي الذي لا يفارق الغيب، لذلك فإنها لا تخلق بل تنبعث من أول موجود. ويقبل هذا الموجود الأول أسماء منها: القلم الأعلى والعقل والحقيقة المحمدية. ويقصد بالحقيقة المحمدية أو النور المحمدي حقيقة تتميز بالمعقولية والتجريد باعتبارها جوهراً او حقيقة كلية تصدر عنها كل الحقائق، وبها انفتح وجود الموجودات.[43] ويستند ابن عربي في نظريته تلك الى الحديث الشريف: (كنتُ نبيّاً وآدم بين الماء والطين) ممّا يعني تقدم روحانية محمد(ص) على وجوده المادي واقتران هذه الروحانية بالعقل الأول وعن هذا العقل ينبني تصوّر ابن عربي للإنسان على أساس تكونه من وحدة انشقت وظهر منها الرجل والمرأة كشقين متماثلين ومتكافئين ماديا وروحياً، ويستدعي الحديث عن الشقين استحضار الأصل اللغوي الذي يفهم منه أن الشق هو النصف من كل شيء. وللتأكيد على غياب الفرق بين النساء والرجال يعتمد ابن عربي على الحديث النبوي (النساء شقائق الرجال) ويعرضه كأساس شرعي يبين من خلاله أن الأحكام التي تسري على النساء هي نفسها التي تسري على الرجال معتبراً أن كل ما يصح أن يناله الرجل من المقامات والمراتب والصفات يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء كما كان لمن شاء من الرجال.[44]

رابعا: صورة المرأة في المدونات الدينية.

يرى بعض المفسرين أن الكيد صفة ملازمة للنساء ويستدلون على ذلك من خلال بعض الآيات القرآنية التي وردت جميعها في سورة يوسف، قال تعالى: {فَلَمَّا رأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ}[45]، وقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [46]

41 – نفسه، ص 25.

42– نصر حامد أبو زيد، سابق، 32- 33.

43 – نزهة براضة، مرجع سابق، ص 140- 141.

44 – نفسه، ص 148.

45– سورة يوسف : من الآية 28 .

46– سورة يوسف : من الآية 33 .

وقوله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم}[47]. والمتابع لمفردة كيد في القران الكريم لا يجده صفة مصاحبة للنساء، إنما نُسب الكيد لأصناف كثيرة، والأكثر إلفاتاً أنه سبحانه وصف كيده بالمتين، ومن ذلك يتبين أن الكيد من حيث هو كيد ليس بالصفة المذمومة، إنما استعماله في الشر يكون مذموماً. وإذا استعرضنا آراء المفسرين في تفسير الآيات التي وردت في سورة يوسفً(ص) حول كيد النساء، نجد إضافات وإسقاطات اجتماعية عديدة تتلبس بالتفسير، فالقرطبي يقول: وإنما قال. عظيم . لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن[48]. والكيد في اللغة هو: الاحتيال والاجتهاد، والتدبير سواء أكان ذلك في إحقاق حق أو إنزال باطل. والكيد: الحرب. وتأتي كاد بمعنى طلب وأراد. و(كَيَدَ) الشيء عالجه بشدة [49]. وقد ناقش الباحث جواد عيسى العدرة مبيناً أن هذه المعاني تدور حول: اتخاذ أعمال وتدبيرات توقع الآخرين بما يكرهون سواء بحق أم من غير وجه حق. وبأدنى تأمّل يتضح لنا أنّ اتخاذ مثل هذه الأعمال قد يكون في الخير وقد يكون في الشر، وجانب الخير منه لا يكون منافياً للكمال، بل هو من عناصره. والمتدبر في الآيات القرآنية المذكورة آنفا يتجلى له بوضوح عدة نقاط: أولها أن الكلام ورد في سياق قصة نبي الله يوسف(ص) وهي قصة تصف حال زمن من الأزمان الغابرة التي مرت، وان كانت الآيات تحدثت عن كيد النسوة فهي لا تصف بالضرورة كل النساء على مر الأزمنة، الأمر الآخر أن الآيات وردت على لسان العزيز ولسان يوسف الصديق(ص) وليس الله عز وجل، الأمر الآخر هو أن الكيد ليس بالصفة السيئة، هو وسيلة من وسائل القوة، تُستعمل في الخير وتستعمل في الشر، فما كان جيدا فهو ما يرضي الله، وما كان في الشر فإن {ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}[50] لذلك وُصف (الكيد) في القرآن — في إطار تحقيق المراد – بأنه: متين، أو ضعيف، أو عظيم، أو أنه في تضليل أو ضلال أي لم يحقق المراد.[51] إذا شاع في تصورات العامة، أو في العرف العام، أو كان أحد المعاني اللغوية، تخصيص الكيد في الصورة القبيحة المستهجنة التي لا تليق بكمال صفات الله جلّ وعلا، فلا يصح أن يسيطر هذا المعنى على متدبّر ما نُسب إلى الله في القرآن من (الكيد)، حتى يلجأ إلى التأويل بالمشاكلة وغير ذلك، ما دام باستطاعته أن يجد في المعاني اللغوية الأصول ما لا ينافى مع كمال صفات الله عزّ وجل، بل هو ينطبق – على ما نعلم – بالنصوص القطعية الأخرى وبالبراهين العقلية من صفات الله تعالى.

وقد نسبه الله إلى نفسه في مواضع عديدة، يقول تعالى: {وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِين} [52] وقوله تعالى: {وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا} [53] وبناء على هذا نقول أن الكافرين يكيدون في الشر، لأنهم يعملون بمكايد لإدحاض الحق وإقامة الباطل في الأرض، أما الله تعالى فإنه يكيد في الخير، لأنه لا يُصلح عمل المفسدين، بل يرد كيد الكافرين إلى نحورهم وينصر أولياءه المؤمنين على أعدائه، ويؤيد ألأنصار الحق، ويأبى إلا أن يُتمّ نوره ولو كره الكافرون. وينتهي بذلك الأمر دون إشكال، ولا تأويل، وتستقيم عملية التدبر لكلام الله.[54]

وخلاصة القول نجد أن صفة عظمة الكيد عند النساء مدح للذكاء الذي تتمتع به المرأة، ولو أن بيان الآيات الواصفة لذلك مجتمعة في سورة يوسف وكانت تخص امرأة العزيز، إذ الكلام كان موجهاً لها فحسب.

47– سورة يوسف : من الآية 34 .

48– أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9 (بيرت: دار الكتاب العربي، 2006) ص175.

49– ابن الحسين أحمد بن فارس(395ه)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون ، ج5 (الدار الإسلامية، 1410- 1990) ص149 ، ولسان العرب : ابن منظور، سابق، مادة (كاد)

50– سورة يوسف : من الآية 52 .

51– جواد عيسى العدرة، الكيد والمكر في القران الكريم (بحث منشور في موقع ملتقى أهل التفسير)

52– سورة الأعراف : 183 ، وسورة القلم :45 ، وسورة الطارق 14 – 15 .

53–سورة الطارق 14 – 15 .

54– عبد الرحمن حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، مرجع سابق ، ص 454 .

ولو أننا أمعنا النظر في الآيات التي تتحدث عن الحيض وقبل الدخول إلى الموضوع من وجهة نظر المفسر وذهبنا إلى العلم القديم إذ يرى كل من أرسطو وسقراط _اللذين ظلت أفكارهما مهيمنة عدة قرون بعد وفاتهما_ فإنه عبر هذه الفترة يتم تطهير الجسد من التلوث، والبقايا العضوية وكل ما قد سبب ضررا صحياً لجسد المرأة البارد، عكس جسد الرجل الساخن فالدم الذي يخرج من المرأة الحائض يُعد فاسدا يفرزه الجسد ليتطهر منه، وهذا ما ترك أثره على الطب التقليدي إلى حد الأن، حين نجد بعض المعتقدات السائدة، التي تعد إخراج الدم من جسد المريض يساعد على شفائه لأنه يطهر الجسد.[55]

وبالنسبة للمجتمعات العربية الإسلامية، فالأمر يعود لما قبل الإسلام، وتبعات ما خلفته الأقوام السابقة، ووجود قبائل اليهود، حيث الأحكام الصارمة على المرأة في تلك الفترة، ونسرد حديثاً نبوياً يبين كيف خفف الرسول من أحكام اليهود والمجوس على المرأة في فترة الحيض أنهم كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجالسوها على فرش، ولم يساكنوها في بيت، فسأله أصحابه(☺): فأنزل الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾)،[56] قال رسول الله(ص): ((اصنعوا كل شيء إلا النكاح)) فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه،[57] ويروي الزمخشري ما يشبه ذلك، فيقول" فلما نزلت الآية أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهم، فقال ناس من الأعراب: يا رسول الله: البرد شديد، والثياب قليلة فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وإن استأثرنا بها هلكت الحِيّضُ، فقال عليه الصلاة والسلام: إنما أُمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم"[58] فالحائض في الإسلام لا تعزل ولا يمارس عليها حصار مثل ما هو سائد لدى اليهود، فهي ليست كائنا لا يجب لمسه أو الابتعاد عنه وإبعاده فهي ليست نجاسة تنجس كل من حولها، حتى الممارسة الزوجية ليست محرمة كلياً، فإن للرجل مباشرة زوجه في فترة الحيض من فوق الإزار، الإسلام يحرم فقط الجماع المباشر،[59] وذلك لأسباب سنوضحها فيما بعد.

تقول إحدى النسويات المعاصرات: "بذلك استطاع الرجل أن يبعد المرأة عن المعبد وسلطته وربط عبادتها للرب به كواسطة، فلكي ترضي الرب يلزمها إرضاء الرجل كأب وزوج، لأن طاعة الرب الأصغر دليل على طاعة الرب الأكبر وهذا مضمون التشريع اليهودي وكذلك الأمر في المسيحية، وهذا ما نراه في بعض رسالات بولس[...] أما بالنسبة للإسلام فطاعة الزوج تؤدي لدخول الجنة فصار الرجل هو المشرع للمرأة في أمو تخصها،[...] في فرض أوقات الاغتسال والاستحمام والطقوس المصاحبة لذلك، زيادة على تحقيرها، بعدم لمسه[لها] خلال فترة الحيض، كما هو الأمر في اليهودية".[60]

ويرى باحث آخر أن الحيض يبقى في كل الديانات والثقافات الإنسانية- بغض النظر عن الدين- من المظاهر الفزيولوجية التي تميز المرأة من الرجل وتجعلها نجسة، من هذا المنظور فإن هذه النجاسة المؤقتة متناقضة مع ما تفرضه الولاية من طهارة، وأن دم

---

[55]- رحال بوبريك، بركة النساء، الدين بصيغة المؤنث (أفريقيا الشرق 2010) ص36.

[56] - سورة البقرة: 222.

[57] - مسلم بن حجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ج1 (الرياض: بيت الأفكار، الرياض، 1419هـ – 1998م) ص246، 262، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق، سامي بن محمد السلامة، ج1 (دار طيبة د.ط، د.ت) ص585.

[58] -جار الله أبو القاسم بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة، عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه: فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي،ج1، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان، 1418هـ-1998)ص432.

[59] محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القران، ط3 (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1973)ص 299، ، رحال بوبريك، مرجع سابق، ص 38- 40.

[60] - حمودة إسماعيلي، لغز الأنوثة وعقدة الجنس (أفريقيا الشرق، 2015)ص101.

الحيض يمثل لعنة للمرأة وأنها تبحث عن خلاصها الروحي من خلال التصوف ناهيك على أن المرجعية الدينية الإسلامية والمسيحية واليهودية تأسست منذ البداية على ثنائية قائمة على طبيعة جنس الفرد، مع إعطاء الأفضلية للجنس الذكر، ويرى أن مرتبة المرأة في مستوى أدنى بإقصائها من الوظائف الدينية كالإمامة وحرمانها من ولوج المسجد إلى جانب الرجل، وإقامة شعائرها الدينية أبان الحيض ودم النفاس وعدم المساواة في الإرث والشهادة رغم ما يقدمن من تبريرات لهذه اللامساواة من طرف المدافعين عن فكرة مساواة المرأة بالرجل في الدين.[61]

ثم يقول: "نجد أنفسنا أما نصوص وتمثلات تجعل المرأة في حالة دونية بسبب عدم طهارتها، فهي دائمة التأرجح بين حالة الطهرpur والنجاسة impur عكس الرجل وهذان المفهومان أساسيان في المنظومة الدينية وعالم القداسة وتحضرنا هنا إشكالية الطهارة وعلاقتها بالجسد، فالجسد هو أداة الإنسان للتقرب الى الله فبواسطته يتعبد: يركع ويسجد ويقوم ويصوم؛ لذا كان واجباً إخضاعه لشروط أولها وأهمها الطهارة فقبل كل طقس ديني وجبت طهارة هذا الجسد بالاغتسال، والطهارة لها بعد رمزي أكثر مما هي مجرد مسألة تنظيف مادي hygiene؛ لأن في غياب الماء بإمكان المسلم التيمم باستعمال الحجر والتراب، وهي ممارسة لا تنظف بقدر ما لها بعد رمزي وطقس ديني يخضع له الجسد ليصبح أهلا للعب من دون الوسيط بين الروح الإنسانية والله إبان ممارسة الصلاة، فطهارة الجسد ليست مسألة نجاسة مادية فقط حتى ولو كانت دماً بل لها أبعاد أخرى"[62] ويقول في موضع آخر: "الجسد هو موضوع إكراهات الروح ومن هنا نفهم إلحاح النص الديني عليه في الطهرة عبر الاغتسال الجسدي لتعرضه الدائم للدنس، فالروح وهي تبحث عن الخلاص والدخول الى عالم التقوى تتطلب جسداً طاهراً"[63]. حتى يصل إلى حديثه عن المرأة يقول:" جسد المرأة هو الأكثر خضوعاً لمسألة الطهارة مقارنة بالرجل فتكوينها البيولوجي يجعلها في حالات تدنيس يدعوها للتطهر كي تصبح جديدة بممارسة طقوسها الدينية وتعتبر المرأة مدنسة مؤقتاً نظراً للدم الذي يسيل منها: دم الحيض ودم الاستحاضة ودم النفاس وهذه كلها مخصوصة بالمرأة. فالدم من المنظور الديني مادة مدنسة[...] وحين يتعلق بالرجل فهو مرتبط بالشرف والقرابة الأبوية والتضحية وعقد العهود، أما حين يتم الحديث عن دم النساء فإنه يوحي مباشرة إلى عالم مدنس".[64]

وأخيرا يقول: "دم لا يقصي المرأة من القداسة بل من حق السلطة أيضاً، فهي لا يحق لها تقلد مناصب القيادة في نظر بعض الفقهاء؛ نظراً لأن دم الحيض والنفاس يؤثران على نفسيتها، وفي الآن نفسه يحولان دون كمال دينها وتعتبر في عدّة أيامه مقصية من الحقل الديني بفرائضه وطقوسه، وهو وضع لا ينطبق مع من يريد أن يتحمل مسؤولية ولقب إمارة المؤمنين، بأبعادها السياسي والديني، والرمزي من هذا المنظور الفقهي[...] ولم يقتصر ربط التدنيس بدم الحيض على المرأة فقط، فحتى الحيوانات صُنف بعضها في خانة الممسوخات لأنها تحيض، وفي هذا الباب اعتبر أكل لحم الأرنب مكروها[...] فحسب التأويل السائد أن الأرنب في فترة حيضها تتردى حالتها النفسية مما يؤثر على سلامة الإنسان وصحته في حالة أكل لحمها فالقول الغالب لدى بعض الفقهاء هو تحريم أكل لحوم الأرانب لأنها تحيض".[65]

ونجد في تعريف المفسرين للمحيض قول الزمخشري مثلاً:" المحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له، فاعتزلوا النساء: اجتنبوهن، يعني فاجتنبوا مجامعتهن".[66]

---

61 – رحال بوبريك، مرجع سابق، ص19.

62 – رحال بو بريك، مرجع ص 31.

63 –نفسه، ص 31.

64 –نفسه، ص 33– 34.

65 –نفسه، ص 40–41.

66 – الزمخشري، مرجع سابق،ص 432.

أصبحت المرأة تعيش حالة رعب مزمن خوفاً من غضب الله، فقد أوحي إليها أنها تغضب الله إذا لم تؤدي بعض الأمور أهمها طاعة الزوج، وأُقنعت أنها خلقت بمجموعة من العورات؛ لذا يجب حمايتها من نفسها، ولهذا فقد تولّى الرجل هذه المهمة، ومن هنا بدأ تغليب الفكر الجاهلي على الفكر الإسلامي، وعاد العرب يمجدون القبيلة والعائلة ووجاهتها، وانغمسوا في ملذات الانفتاح الحضاري على الأمم الأخرى، وبقيت المرأة في معزل عن كل ذلك، بحجة أنها ناقصة عقل ودين، ومحوا بذلك تلك المكانة التي منحها إياها الإسلام، فمُنعت من الصلاة في المساجد، ووضعت الأقاويل في أفضلية الصلاة في بيتها، بل في ركن محدد من البيت، في حين كانت المرأة في عهد الرسول لا تصلي في المسجد فحسب بل كانت تناقش أمور دينها ودنياها[67]،وترى أحدى النسويات المعاصرات: تحول الخطاب الإسلامي إلى وصف المرأة الطائعة والاهتمام بها، مفهوم الطاعة بوصفه التعبير السلطوي المباشر للتبعية القائمة على منهج متفاوت بين الناس، وأن الزواج يضفي على الرجل صفة القداسة المحفورة في ذاكرة المخيال العربي، فالأسرة كخلية أولى في المجتمع تجسد مفهوم الطاعة السياسي السلطوي لرب الأسرة وراعيها انطلاقاً من تجذرها في العقل العربي، فظل الخطاب الإسلامي عبر العصور نسيجاً اجتماعياً قائماً على الأيديولوجية المحفورة في أعماق الوعي الجمعي المحرضة على عبودية المرأة وقهرها وحصر وضيفتها في إرضاء رغبة الزوج، وحراسة البيت في غيابه من دون أن تكون صاحبة قرار، وان كانت تعيش في طبقة تتمتع بكل امتيازات الحكم الفردي المطلق مدعمّة بنصوص وتأويلات موضوعة والعمل على ترسيخها في الذهن العربي، وإقناع المرأة بها تارة، وبالعنف تارة أخرى [68]، انطلاقا من الفهم الذكوري لبعض الآيات القرآنية(عظوهن)، (اضربوهن)، (انكحوا ما طاب لكم ....) وغيرها، فأُخذت الآيات بمفهوم سطحي، ودعمت أحاديث موضوعة تارة، ومقتطعة من سياق قولها تارة أخرى، مما ساعد على تركيز قاعدة التبعية التي كانت سائدة أصلا قبل الإسلام بآلاف السنين، ثم جاء أهل اللغة فرسخوا ذلك أكثر حتى أننا نجد صاحب معجم تاج العروس يعرف مفردة(الحِذَاء)" الحِذَاءُ: الزوجةُ؛ لأنها موطوءة كالنعل"[69]، أما أبو حامد الغزالي فيقول:" إن النكاح نوع من الرق، فهي رقيقة له، فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه"[70] ويقول: "القول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل: أن تكون قاعدة في بيتها، لازمة لمغزلها، لا يكثر صعودها واطلاعها، قليلة الكلام لجيرانها، لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول، تحفظ بعلها في غيبته، وتطلب مسرته في جميع أمورها، ولا تخونه في نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بإذنه فمختفية في هيئة رثة، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تتعرف إلى صديق بعلها في حاجاتها، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه، همها صلاح شأنها وتدبير بيتها، مقبلة على صلاتها وصيامها، وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضراً، لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله، وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائل أقاربها، متنظفة في نفسها مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء الله"[71]!!.

إن ما ورد على لسان الغزالي، وإن كان يعود نزر منه إلى الخلق الإسلامي، بيد أن أكثره لا يعدو إلا أن يكون ثقافة ذكورية متراكمة لا علاقة لها بآداب الإسلام، فكيف للمرأة أن لا ترد على طارق الباب، والله سمح لنساء الرسول أن يحجبن الرجال من وراء

---

[67] –محمد خليفة جميل، المرأة المسلمة وأوهام الرجال السلطوية والجنسية (أفريقيا الشرق، 2014) ص21– 28.

[68] – خديجة صبار، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة (بيروت: أفريقيا الشرق 1999) ص 27.

[69] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: نواف الجراح، مراجعة، سمير شمس، ج3، ط1 (بيروت: دار صادر 2011)128، مادة (حذو).

[70] –أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين؛ وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من أخبار، تحقيق، عبد الرحيم العراقي، ج2 (بيروت: دار المعرفة، 1403هـ –1983) ص56.

[71] – الغزالي، سابق، ص 59.

حجاب، وكيف تتحرز من أن يسمع صوتها أو تحتجب عن العالم، والله يقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾)[72]، ثم كيف تخرج بثياب رثة، والله يقول:(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾)[73]، ويقول: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)[74]، وإن خرجت في المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، فكيف يمكن تطبيق أمره تعالى(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾).[75]

وحاول بعض الفقهاء أن يكونوا أكثر إنصافا من غيرهم، فقالوا: طاعة المرأة الواجبة لزوجها، تُحصر في أمرين فقط: التمكين الجسدي، والإذن في الخروج من المنزل، وأما سائر الأمور الأخرى كأداء الأعمال المختلفة فالطاعة فيها غير إلزامية، ولو وجب الحج على امرأة فلا يجب عليها استئذان زوجها لأداء تلك الفريضة الإلهية بل لها أن تسافر لأدائه حتى مع مخالفة زوجها أيضاً، حتى في الحج النذري،[76] بل أفتى جمهور الفقهاء[77] بلزوم تقييد حكم طاعة المرأة لزوجها بالشروط العامة المقيدة للأحكام الدينية كأن لا يكون الحكم فيه ضرر أو حرج أو مشقة على المكلف؛ وعليه فالزوجة التي تتسبب إطاعتها لزوجها في وقوعها في الضرر أو الحرج غير ملزمة بالطاعة في الحالة هذه. بل إنهم اختلفوا فيما بينهم حول مدى شرعية فرض أو إلزام الزوج بتوفير الخدمة المنزلية (إحضار خادم) إلى الزوجة، ففريق ذهب إلى أن عدم إلزام الزوج بذلك مرتبط بمكانة المرأة الاجتماعية، فلا إلزام إذا كان معروفاً أن مثل من في منزلتها وطبقتها يفعل ذلك، أما إذا لم يكن الوضع كذلك في بيت أبيها أو إذا كان لها خادم ولم يكن الزوج معسراً فعليه توفير من يخدمها أو ليس له الحق في تسريح خادمها. كما أشار بعض الفقهاء إلى حق الزوجة في الحصول على أجر أو نفقة لقاء قيامها بالخدمة. وهذه أمور فقهية معروفة. [78] لكن كمجتمع ذكوري، فقد أُعطي حق الزوج في المباضعة (العارضة) أولوية قصوى، إذ المتداول أنه يجب على المرأة أن تأخذ موافقة زوجها المسبقة إن أرادت أن تصوم ذات يوم، لتقضي ديناً، أو تؤدي نذراً، أو تتقرب إلى الله؛ ذلك بأنها–حسب ما أورد الفقهاء–يجب أن تحسب حساب الزوج كونه يأخذ الأسبقية في الأولويات، ومن هنا توجه الاتهام إلى الرجل المسلم، [79] بأن لا هم له ولا يشغله تفكير إلا في هذا النشاط.

ومن هذا الاتهام جاء القول إن المرأة خلقت من أجل الرجل ومن أجل رغباته، ولكن ذلك مردود بدلالة النص القرآني، يقول تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[80]، ويقول تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ

---

[72] –سورة الحجرات: 13.

[73] – سورة الأعراف: 32.

[74] – سورة الأعراف: من الآية 31.

[75] – سورة الملك: 15.

[76] –زين الدين بن علي العاملي 911هـ–965هـ، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، ج8، ط 3 (إيران –قم: 1425هـ) ص 361، الخميني، تحرير الوسيلة، ط10 (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين 1425هـ)ص21، 351، و/ 273، علي الحسيني السيستاني، منهاج الصالحين، ج3، ط8 (بيرت: دار المؤرخ العربي1423هـ–2003م) ص 106.

[77] –الخميني، سابق، ص 351،21– 352، حسين بستان النجفي، الإسلام والجنوسة التمييز بين الجنسين في المؤسسات الاجتماعية، تعريب، رعد الحُجّاج، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات الحضارية، ط1(بيروت، 2012)ص111.

[78] – أميمة أبو بكر، وشيرين شكري، المرأة والجندر، الغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين، مرجع سابق، ص38

[79] –محمد خليفة، المرأة المسلمة وأوهام الرجال، مرجع سابق، ص 57.

[80] – سورة الذاريات: 56.

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾)[81]، وقوله تعالى:(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾)[82]. وغيرها كثير من الآيات التي تدل أن الذكر والأنثى متساويات في الجزاء والثواب والحياة والعمل، ولا توجد آية تصرح بأن الله خلق المرأة من أجل الرجل، إن كانت السماوات والأرض والكائنات خلقت لتعبد الله ولتقدس اسمه، أيخلق الله المرأة من أجل الرجل وليس من أجل عبادته؟.

إننا حين نتوجه إلى النص القرآني- دستور الإسلام- نجد أن بلقيس تضرب مثلاً سامياً للمرأة القيادية الفذة، وذلك من خلال قراءة القصة وعرضها على قصص القادة الآخرين المذكورين في النص القرآني، إذ تبدأ الحكاية حين يقول الهدهد: (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴿٢٣﴾وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْدُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾) (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾).[83]

إن قيادة بلقيس تختلف عن كل قادة الأقوام السابقة، كأمثال فرعون والنمرود وغيرهم، وتميزت منهم بميزات كثيرة منها: استعملت مبدأ الشورى (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32))[84]ثم أنها لما رأت رد قومها (رد ذكوري): (قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ(33))[85]بمعنى أنهم مستعدون للمواجهة والقتال، ولأنها فهمت ذلك، ناقشتهم بالأمر لأنها مرنة وتريد أن تحمي شعبها: (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (34)). وقررت أن ترسل بهدية، وهذا هو التفكير الأنثوي، الممزوج بالميل الى السلام والمودة، والمحاولة للحد من النزاع. ثم أنها اعترفت فورا بالخطأ الذي كانت عليه ومملكتها فأقرت: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35))، ثم أنها لم تقل أسلمت لسليمان، وإنما قالت: (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)). كل الأقوام الأخرى عادت الأنبياء ولم تدخل في الدين خوفاً على السلطة وقولها أسلمت مع سليمان لله، دليل على إدراكها قيمة الرسالة الحقيقية، كانت بلقيس الملكة الوحيدة التي دخلت في دين نبي من الأنبياء، وجنبت أهل مملكتها الضرر والهلاك، بخلاف باقي الأقوام التي أُبيدت بسبب تجبر ملوكها وتعنتهم. ولكي نخلص إلى أن المرأة ليست تابع للرجل يمكننا أن نذكر ثلاثة وقائع مترابطة مدونة في الأثر في الأثر وصحيحة تاريخياً:[86]

الواقعة الأولى: إن أم سلمة سمعت الرسول وهو ينادي من على المنبر: (يا أيها الناس)، فأرادت الذهاب، فقالت لها الجارية: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء. فردت سريعا: إني من الناس.

---

[81] – سورة آل عمران: من الآية 195.

[82] –سورة النحل : 97.

[83]– سورة النمل: 23- 25، 42.

[84]– سورة النمل: 29،30،32

[85]– سورة النمل: 33

[86]–أميمة بكر، وشيرين شكري، المرأة والجندر، إلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين، ص 14-15.

الواقعة الثانية: تساءلت أم سلمة عن فضل الهجرة، هل هناك تخصيص الرجال بها من دون النساء، فأنزل الله تعالى:"﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾).[87]

الواقعة الثالثة: دخلت أسماء بنت عميس على نساء النبي(ص) بعد رجوعها من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، قالت: هل نزل فينا شيء؟ قلن: لا. فأتت إلى النبي(ص) فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يُذكرن في الخير كما يذكر الرجال. فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾)[88]

تدل هذه الوقائع على حرص النساء في عصر الرسالة على أن يكون لهن مكان في الشؤون العامة للجماعة المؤمنة، وأن يذكرن في النص القرآني (أي يخاطبهن الله نفسه عز وجل) فيصبحن بذلك جزءاً مرئياً وظاهراً من حياة المجتمع الإسلامي في جوانبه الدينية والاجتماعية العامة، فضلا عن أن هذه الوقائع تعكس حرص النساء على أن يحظين بالمكانة والتقدير المعلن لجهدهن، وإلا يتم إقصاؤهن أو تجاهلهن. كذلك أن هذه الروايات تعكس مراعاة التنزيل لإحداث توازن بين شقي المجتمع، أي أن الإسلام قدّم رؤية تراعي الجنسين ومطالبهما وتتعامل بحساسية محمودة مع المرأة بتأكيد دورها لتحقيق المساواة الإيمانية لها. هي إذن رؤية أقرّت خصوصية مشكلات المرأة ولكنها في الوقت نفسه تسعى إلى دمج النساء وانخراطهن في صفوف المجتمع بعدالة وبدون تفريق. تؤكد أسباب نزول هذه الآيات على احترام وجهة نظر المرأة ومبادراتها الفعّالة في شكل تساؤلات وجدل حول موضوع يؤرقها.[89]

الخاتمة:

بعد هذا البحث المختصر عن صورة الأنثى في المدونة العلمية، أسفر البحث عن مجموعة من النتائج والملاحظات، وسنحاول تلخيصها على النحو الاتي:

- من اللحظة التي بدأ بها التدوين، كان صاحب تلك المدونة هو الرجل، فجاء كل ذلك بتصور ذكوري، وغابت الأنثى بوصفها المدون للعلوم حتى زمن قريب الا ما ندر من محاولات خجولة.
- حافظ الذكور على صورتهم الذكورية في المدونات العلمية التي تقر بحقهم في الحكم والسيطرة تارة، وبيان صورة الأنثى التابعة تارة أخرى.
- حين مثلت الأنوثة دور القيادة في القران(بلقيس) أدخلت شعبها في دين سليمان، في حين لم يحصل ذلك أبدا مع أي من الأقوام الأخرى التي كانت تقودها الذكور، وهذا يعني أن القيادة الأنثوية تتميز بالمرونة، وإننا اليوم بحاجة إلى أنثى للقيادة كي نتجنب ما أوقعتنا فيه الذكورة من حروب.
- بعض الأبحاث العلمية أثبتت أن الأصل هي الأنثى وليس العكس.

---

[87]- سورة آل عمران: 195.

[88] - سورة الأحزاب: 35

[89] - أميمة أبو بكر، وشيرين شكري، المرأة والجندر، إلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين، ص 15- 16

- يجب التنويه إلى ضرورة دراسة صورة الأنثى في الكتب المقدسة والحديث الشريف ونهج البلاغة، ومحاولة معرفة الأحاديث الصحيحة من الموضوعة.
- الدعوة الملحة إلى ظهور أنثنة العلم بمعنى رؤية العلم من وجهة نظر أنثوية، كالنحو والفلسفة ومختلف العلوم الأخرى.
- من الضروري مراجعة نظريات علم النفس التي درست الأنوثة والذكورة، ومحاولة إيجاد الفرق بين التأثر بسلطة الدين، وبين علم النفس.

قائمة المصادر

القران الكريم.

1. ابن الحسين أحمد بن فارس(395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون (الدار الإسلامية، 1410-1990)
2. ابن منظور(711هـ)، تنسيق وتعليق وفهرست، على شيري، لسان العرب، ط1 (بيروت: دار إحياء التراث العربي 1408هـ-1988م)
3. أبو العباس المبرد، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، المذكر والمؤنث، (القاهرة: 1970)
4. أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (دار الكتب المصرية- المكتبة العلمية، 1371هـ-1952)
5. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق، سامي بن محمد السلامة (دار طيبة د.ط، د.ت)
6. أبو بكر بن الأنباري(328هـ)، المذكر والمؤنث، تحقيق، محمد عبد الخالق عظيمة، جمهورية مصر العربية (وزارة الأوقاف: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، 1401هـ-1981م)
7. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين؛ وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من أخبار، تحقيق، عبد الرحيم العراقي (بيروت: دار المعرفة، 1403هـ -1983)
8. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (بيرت: دار الكتاب العربي، 2006)
9. إمام عبد الفتاح، أرسطو والمرأة (مكتبة مدبولي الصغير 1996)
10. إنصاف سلمان علوان، الذكورة والأنوثة في أدبي العصر الجاهلي والإسلامي، لسان العرب متنا، أطروحة دكتوراه (جامعة بابل: كلية التربية، 1434هـ-2013م)
11. بيتي فريدان، اللغز الأنثوي، ترجمة، عبد الله بديع فاضل، ط1 (الرحبة للنشر والتوزيع، 2014م)
12. بينار ايليكاركان، ترجمة: معين الإمام، المرأة والجنسانية في المجتمعات الإسلامية، ط1 (دار المدى للثقافة والنشر، 2004م)
13. بينار ايليكاركان، ترجمة، معين الإمام، المرأة والجنسانية في المجتمعات الإسلامية، ط1 (دار المدى للثقافة والنشر، 2004)
14. جار الله أبو القاسم بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة، عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه: فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان، 1418هـ- 1998)
15. جاك أندرييه، النزوع الجنسي الأنثوي: ترجمة، إسكندر مصعب، طريق المعرفة، ط1 (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1430هـ-2009)
16. جواد عيسى العدرة، الكيد والمكر في القران الكريم (بحث منشور في موقع ملتقى أهل التفسير)

17. حسين بستان النجفي، الإسلام والجنوسة التمييز بين الجنسين في المؤسسات الاجتماعية، تعريب، رعد الحُجّاج، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات الحضارية، ط1(بيروت، 2012)
18. حمدة خميس، المرأة في علم النفس الفرويدي: مقال على مجلة الاتحاد الالكترونية (الإثنين 19 أبريل 2010)
19. حمودة إسماعيلي، لغز الأنوثة وعقدة الجنس(أفريقيا الشرق، 2015)
20. خديجة صبار، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة (بيروت: أفريقيا الشرق1999)
21. الخميني، تحرير الوسيلة، ط10 (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين 1425هـ)
22. رحال بوبريك، بركة النساء، الدين بصيغة المؤنث (أفريقيا الشرق 2010)
23. زين الدين بن علي العاملي 911هـ-965هـ، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط 3 (إيران –قم: 1425هـ)
24. سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة، أحمد الشامي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002.
25. عبد الله إبراهيم، السرد النسوي، الثقافة الأبوية-الهوية الأنثوية والجسد، ط1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2011)
26. عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، ط3 (المركز الثقافي العربي 2006)
27. علي الحسيني السيستاني، منهاج الصالحين، ط8 (بيرت: دار المؤرخ العربي1423هـ-2003م)
28. كورنيليا الخالد، المرأة العربية-الإبداع النسائي-النظريات النسوية (دراسة)، في خصوصية الإبداع النسوي؛ أوراق عمل الإبداع النسوي الأول 1997 (منشورات وزارة الثقافة، عمان، 2001)
29. ليندا جين شيفرد، أنثوية العلم، العلم من منظور الفلسفة النسوية، ترجمة، يمنى طريف الخولي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب1425هـ-2004)
30. محمد الخباز، صورة المرأة في التراث الشيعي تفكيك لآليات العقل النصي: ط1 (بيروت-لبنان: 2009)
31. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القران، ط3 (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1973)
32. محمد خليفة جميل، المرأة المسلمة وأوهام الرجال السلطوية والجنسية (أفريقيا الشرق، 2014)
33. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: نواف الجراح، مراجعة، سمير شمس، ط1 (بيروت: دار صادر 2011)
34. مسلم بن حجاج النيسابوري، صحيح مسلم (الرياض: بيت الأفكار، الرياض، 1419هـ – 1998م)
35. مي غصوب وإيما سنكلير ويب (إعداد)، الرجولة المتخيلة، الهوية الذكورية والثقافية في الشرق الأوسط الحديث، الطبعة العربية، ط1 (دار الساقي: 2002)
36. نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، ط1(المركز الثقافي العربي2007)
37. نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، المرأة والجنس، ط6(بغداد: المؤسسة العربية للدراسات والنشر-مطبعة الديوان 1986)